

خصائص التصوف الإسلامي ومميزاته عن الفلسفات الروحية في الأديان (مقارنة موجزة مع  
البوذية والغنوصية المسيحية)

Characteristics of Islamic mysticism and its advantages from spiritual  
philosophies in religions (a brief comparison with Buddhism and Christian  
(Gnostics)

عبد الرحيم سماحي

<sup>1</sup> جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة (الجزائر)، abderrahim.smahi10@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/07/13

تاريخ القبول: 2023/08/09

تاريخ النشر: 2023/09/30

ملخص:

يمكن أن نقول عن التصوف والتسكية نفس ما يقال عن الدين والعبادة عموما فما من أمة خلت  
منها المعابد وكذلك مظاهر التصوف، ولكن في وجود سلوك روحي وزهد ورهينة منتشرة في مختلف أنحاء  
الأرض وفي أهم أديان العالم، ما خصوصية التصوف الإسلامي وموقعه في هذه الصورة الضخمة؟  
كلمات مفتاحية: التصوف، البوذية، المسيحية .

**Abstract:**

We can say about mysticism and feminism the same as what is said about religion and worship in general. No nation has been free of temples as well as manifestations of mysticism. But in the presence of spiritual behaviour, speculation and monk scattered throughout the earth and in the world's most important religions, what is the specificity of Islamic mysticism and its position in this huge picture?

**Keywords:** Mysticism, Buddhism, Christianity .

<sup>(1)</sup> المؤلف المرسل : عبد الرحيم سماحي، abderrahim.smahi10@gmail.com

## 1. مقدمة:

يمكن أن نقول عن التصوف والنسكية نفس ما يقال عن الدين والعبادة عموماً فما من أمة خلت منها المعابد وكذلك مظاهر التصوف، ولكن في وجود سلوك روحي وزهد ورهبة منتشرة في مختلف أنحاء الأرض وفي أهم أديان العالم، ما خصوصية التصوف الإسلامي وموقعه في هذه الصورة الضخمة؟

## 2. خصوصية لفظ التصوف:

يشيع في الاصطلاح العربي الحالي استخدام التصوف بمعنيين، المعنى العام وينسب لأهل الأرض جميعاً ومعنا خاص بما هو للمسلمين، بل قد أصبح الأصل في لفظ التصوف الاستخدام العام ولا يخص إلا بقولنا التصوف الإسلامي، وهذا ما لا يجب أن تكون عليه المصطلحات العلمية التي من عاداتها السعي لأكبر قدر ممكن من الدقة، فلا يصح أن نطلق لفظ "العهد القديم" كما هي في الاصطلاح المسيحي على التناخ اليهودي (التوراة اليهودية) أو لفظ علم اللاهوت -المسيحي- على علم الكلام -الإسلامي- حتى وإن أدت جميعها المعنى، كذلك فإن التصوف لفظ خاص لوصف الفكر والممارسات الروحية في التراث الإسلامي، وربما وجدنا أن الاصطلاح الغربي أكثر دقة فاللفظ المقابل فيه لـ "التصوف العام" هو *Mysticism* بينما يستخدم لفظ *Tasawuf* ليعبر حصراً عن التصوف الموجود حصراً في الثقافة الإسلامية، وكذلك يقول المستشرق رينولد نيكلسون "...واللفظان (*mystic* و صوتي) ليسا مترادفان لأن للفظة الصوفي مدلول ديني خاص، وقد قيدها بالاستعمال الصوفية الذين يدينون بالإسلام والكلمة العربية وإن اكتسبت على مدى الأيام مدلول الكلمة الإغريقية الواسع، إلا أن مدلولها كان متواضعاً (محدوداً) يوم جرت على الألسنة لأول مرة حوالي نهاية القرن الثاني للهجرة"<sup>1</sup>.

ويمكن أن نلاحظ في بحثنا عن أصل كلمة التصوف أنه لفظ أصيل عند المسلمين فالاشتقاقات المعروفة لهذا اللفظ جلها وأرجحها عربية الأصل وتُعبّر عن بيئة إسلامية، فقد قيل أن التصوف من الصفة نسبة لأهل الصفة زمن النبي ﷺ وقيل من الصفا لأن الصوفي من صفا قلبه وقيل من الصّف لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عزّ وجل، وقيل من الصوف وهو الراجح فيقال للمرء تصوف إذا لبس الصوف لأن المتصوف كالصوفة المطروحة لا تدبير لها في أمر الله والصوف غالب لباس المتصوفة لزهدهم و تواضعهم ومخالفتهم الناس في لبس فاخر الثياب، واستأناسا بما كان يصلهم من الأثر في فضل لبس الصوف فقد روي في أثر أن الرسول ﷺ كان "يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ"<sup>2</sup> وقد روي عنه في آخر أنه قال "مَنْ لَبَسَ الصُّوفَ أَوْ حَلَبَ الشَّاةَ أَوْ أَكَلَ مَعَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ الْكِبْرُ"<sup>3</sup>، وكان لبس

## خصائص التصوف الإسلامي و مميزاته عن الفلسفات الروحية في الأديان (مقارنة موجزة مع البوذية والغنوصية المسيحية)

الصوف يلازم ترقيع الثوب عند المتصوفة وذلك لما ورد في آثار عدة فعن النبي ﷺ أنه كان يوصي عائشة -  
- "إِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ الْأَعْيَانِ، وَلَا تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَفِّعِيهِ"<sup>4</sup> وكذلك روي عن بعض الصحابة  
والتابعين أنهم كان يلبسون ثيابا صوف مرقعة، والمتصوفة كانوا يعرفون هذا الأصل أي نسبتهم إلى الصوف  
ولذلك هم الكثير من الناس لمماثلة هذا المظهر بعد أن ذيع في الناس أنه لباس الزهاد والصالحين  
وعلامتهم، حتى إن بعض شيوخ التصوف أعرض عن ذلك بعد شيوع هذا الفعل خوفا من الرياء وفساد  
القلوب وتقديم الظواهر على البواطن، بل ذهب الأمر بالبعض لإنكار أصل لبس الصوف والمرقعات كابن  
الجوزي في تلبيس إبليس وهذا يعكس مدى مبالغة الناس في الاهتمام بهذا المظهر الأمر الذي يدل على  
ربط أصل التصوف بالصوف<sup>5</sup>، وكذلك يؤكد هذا الرأي شيخ المستشرقين الألمان ثيودور نولدكه<sup>6</sup>.  
ونخالف بعض الآراء التي حاولت أن تجعل أصل هذا اللفظ مشتقا من خارج البيئة العربية، وربما كانت  
أشهر الأقوال نسبتها لكلمة Sophia اليونانية أي الحكمة<sup>7</sup>، و ليس التشابه اللفظي بين الكلمتين  
الأساس الوحيد لهذا القول فالظروف الزمانية والمكانية تتيح إمكانية هذا الإشتقاق إذ أن التصوف ولو أنه  
وُجد كعمل منذ ظهور الإسلام إلا أنه كعلم ظهر متأخرا كمعظم العلوم الإسلامية أي حوالي القرنين الثاني  
والثالث أين اشتدت حركة الترجمة والتدوين، ومعلوم أن هذه المرحلة هي التي ترجمت فيها كتب الفلسفة  
وبدأ بعض المسلمين بالاشتغال بها، ولكن ما يستبعد احتمال هذا الاقتباس هو أنه في هذه المرحلة بالذات  
لم نرى استخدام الفلسفة اليونانية أو التأثير بها في مؤلفات المتصوفة أو من أصلوا للتصوف بل كانت  
إحالاتهم إلى العهد الأول للإسلام أي الرسول ﷺ والصحابة ثم من تلاهم، ومن العيب أن يُخرجوا  
الإصطلاح عن هذا النمط مع عدم استحالة ذلك فلربما صدق كلمة Sophia الممثلة للحكمة كانت ذا  
تأثير، و حتى إن كان هذا اللفظ فعلا ذا أصل أجنبي، فإن البيئة العربية الإسلامية هي التي صقلته وزرعت  
فيه قيمها وثقافتها وصار اللفظ شائعا بواسطتها فهو لم يكن ليستخدم خارج بيئتها وثقافتها إلا تأثرا بها،  
ولذلك من العدل أن نقول أن التصوف مصطلح وليد عن هذه الثقافة وتراثها ولذلك هو خاص بها.  
وبما أنه لا يوجد لفظ متفق عليه في الوسط العلمي الناطق بالعربية بديلا عن مصطلح التصوف (العام) فقد  
أستخدم كلفظ بديل التُّسْكِيَّة وهي من نسل أي زهد وتعبد وهي تستعمل بالفعل فالاصطلاح العربي  
المسيحي، أو المستيكية التي هي نقل حرفي عن كلمة Mystic، أو الممارسات الروحية، أما لفظ  
التصوف فأورده حصرا لوصف التصوف الإسلامي.

### 3. نظرية التأثير والتأثر في الأديان:

إن ملاحظة عامل التأثير والتأثر بلا شك قد ساعد الباحثين في تنظيم كثير من الأفكار المبعثرة وساهم في اكتساب نظرة كلية تربط وتفسر عدة ظواهر إجتماعية بفهم بيئتها وماجاورها ثقافيا وتاريخيا، و أعادت رسم ما كان يبدو نقاطا مبعثرة في نسق معرفي واحد ومنتظم، إن التأثير والتأثر هو من العوامل واضحة الوجود كظاهرة اجتماعية ولا يمكن تجاهل تأثيرها في الخارج، لكن إلى أي مدى سيتم تعميم هذا العامل وتأسيس النظريات الإجتماعية والإنسانية على أساسه، يمكنني أن أقول أنه منذ منتصف القرن 19 قد أخذت الدراسات هذا المبدأ إلى أبعد مدى وجعلت منه تفسيرا كليا للظواهر الدينية والإجتماعية، فالتطور الإجتماعي و هو المقابل لنظرية التطور البيولوجي في العلوم الإنسانية لا يجعل الأديان متأثرة ببعضها البعض فقط بل مبنية على أسس بعضها البعض، والأديان المتأخرة ليست إلا نسخة معدلة عن تلك التي قبلها وهكذا هي حالة الإنسان في كامل تاريخه الفكري والثقافي ينتقل من البدائية إلى التعقيد، وبهذا فإن وجود أصول اللاحق عند السابق زمانيا ليس ممكنا وحسب بل أمر واجب و حتمي. هذه النظرية وغيرها قد شجعت على محاولة ربط كل ما هو متأخر بما هو متقدم كالقول بأن التصوف ما هو إلا صورة متأخرة عن الممارسات الروحية الشرقية أو غيرها من الأديان، بل قد توصف بالصورة بالباهتة ولعل ذلك بسبب اعتقاد أن التصوف حاول أن يزاوج بين الفلسفات الشرقية الروحية والبيئة الثقافية الإسلامية فأتتج ذلك الكثير من الفراغات والثغرات التي شوهت الأصل ليناسب ويتكيف مع وسط معين.

أما الإشكالية الأبرز في هذه الدراسات فهي تكمن في مناهجها ومنطلقاتها، فأقل ما يمكن أن يقال عنها أنها اختزالية، إذ هي تقوم بدراسة وجه واحد من أوجه الحياة الدينية بعقل مادي حسي لتوصف بأنها جوهرية وذات دلالة بينما تعتبر الوظائف والمظاهر الأخرى ثانوية أو حتى وهمية، وكذلك يرى رائد الدراسات الدينية ومؤرخ الأديان الروماني مرسيا إلياد و يحدّر من تفسير الدين تفسيراً مجرداً<sup>8</sup>، هذه الدراسات حاولت تفسير الدين بناء على مناهج مادية أي على أنها تصورات مجتمعية أو نفسانية أو عقلانية معتبرة الأديان بشرية الصنع ومنها دراسات دوركايم، تايلور أو فرويد التي كانت تبحث في الأصل (الدين البدائي) لتفهم الفرع (الأديان المتأخرة) ثم تفسر الدين ومظاهره وتاريخه على ذلك الأساس<sup>9</sup>، وقد لاقت هذه المناهج كماً نقدياً معتبراً بسبب هذه النقطة بالذات خاصة عند رواد المنهج

الظاهراتي الذين كانوا في صدام مع المدارس التاريخية و التي ترى أن الدين أمر تاريخي بحث لا معنى له خارج التاريخ ولا قيمة<sup>10</sup>.

ويرى بعض الباحثين أن العلم لا يمكنه أبدا رصد الدين بل فقط محاولة تحليل سطحي لبعض من ظواهره الحسية يقول عالم النفس دي. سوزوكي " إن الصفة الرئيسية التي تميز المقاربة العلمية للواقع هي توصيف الموضوع والكلام عنه والدوران حوله والتقاط كل ما يجذب فكرنا الحسي sense-intellect وتجريده بعيدا عن الموضوع ذاته، وحين ننتهي من كل ذلك كما نفترض نركب هذه التجريدات المصاغة تحليليا ثم نتوصل لنتيجة بالنسبة لهذا الموضوع، فهل وقع الموضوع كاملا في الشبكة ؟ بالتأكيد لا! ما أمسكنا به ليس إلا محصلة التجريدات وليس الموضوع ذاته، ومن أجل مقاصد عملية وبنوعية" أي بإهمال تام لغاية الدين ورؤيته، ويرى أن الحل الأفضل لمقاربة الواقع المعرفة من الداخل أي التجربة الذاتية<sup>11</sup>، وبإسقاط ذلك على التصوف فإن كثيرا من قضاياها كالوجد و الرؤية والكشف والفناء وغيرها هي تجارب روحية وجدانية قد ترتبط بمظاهر متكررة يلتقطها الحس لكن حصر جوهرها وماهيتها في تلك المظاهر المجردة هي محاولة لفرض فلسفة مادية محضة كخلفية مسبقة على البحث العلمي وتفسير الحقيقة حصرا في حدودها. أما كنقد خاص أكتفي بذكر ثلاث نقاط مهمة لاحظت أن كثير من الدراسات المقارنة في هذا الصدد تهملها:

#### 1- تجاهل احتمال المصدر المشترك:

إن الأديان السماوية خاصة وغيرها من من تقول بالوحي تنقل أن المصدر الإلهي هو الأصل لتعاليمها ولذلك هي تعتبر أن ماهو مشترك بينها يعود للمصدر الأصيل نفسه، وهو الوحي الإلهي والذي يقف كاحتمالٍ مقابلٍ للتأثر في التاريخ، و الوحي ظاهرة غير قابلة للرصد العلمي -المادي- وعلى هذا سيعتبر خارج نطاق البحث وقدرته، لكن المفترض أن ذلك لا يلغيه أبدا ولذلك يبقى عقلا احتمالا معتبرا دائما، إنما احتمال يُتعدّر إثباته أونفيه، وبذلك لا يمكن إثبات التأثر على وجه اليقين بمثل هذه الدراسات أبدا إلا بفرض فلسفة مادية محضة و إقصائية.

وحتى مع الرصد العلمي يمكن إثبات مصدر مشترك آخر خارج إطار التأثير والتأثر المباشر، وهو القسمة الإنسانية ولنسميها جبلة أو فطرة على اصطلاح المتقدمين، إن أبسط مظاهر هذه القسمة هي التوجهات الغريزية فلا يمكن أن نقول أن ظاهرة الشرب عند العطش إذا ما رُصدت عند أمتين مختلفتين يلزم منه أن

إحداهما تأثرت بالأخرى، إنها مسألة متعلقة بكون المعرفة لا تأتي دائما و بالضرورة من الخارج هذا خلافا لقول أصحاب نظرية اللوح الفارغ Tabula rasa<sup>12</sup> الذين لم يروا في العقل أي مبادئ فطرية، إن هذه الأساسيات المشتركة في كنه الإنسان والبيئة المشاعة بين أفرادها لا يُستبعد أن تنتج معرفة مشتركة، خاصة حينما يكون الموضوع المتأمل فيه هو ذات الإنسان من الداخل " فأشواق الروح الإنسانية قسط مشترك بين بني آدم، لا تنفرد به أمة من الأمم...وماتصل إليه نفس واحدة بطريقة المجاهدات والرياضات الروحية قد تصل إليه أخرى"<sup>13</sup> وحينها يكون وجود قدر من المعارف المشتركة في السلوك الروحي بين جميع أهل الأرض وارداً دون الحاجة لاتصال أحدهم بالآخر.

## 2- العبثية في إيجاد التشابه:

من المعلوم أن التشابه ليس صورة واحدة هو مراتب متفاوتة بين التطابق التام والتخالف التام، هذا التشابه قد يكون بسيطا سطحيا وقد يكون جوهريا وجذريا، والسؤال هو ما درجة التشابه اللازم وجودها بين التصوف والسلوكيات الروحية في الأديان والكافية للحكم بأن أحدهما قد أخذ عن الثاني؟ من البديهي أن نقول أن التشابه لا يجب أن يكون عرضيا حتى يؤخذ محمل الجد، فمن العبث أن نقول أن التصوف سلوك إنساني و الرهنة المسيحية سلوك إنساني ومنه لا بد أن المتأخر نقل عن المتقدم، وبالرغم من أن هذا الكلام يمكن أن يكون محل اتفاق إلا أننا نجد في جانب آخر أن تعميم نظرية التأثير والتأثر قد شجع كثيرا من الباحثين على محاولة إيجاد ولو أهدت أنواع التشابه وأكثرها سطحية ثم محاولة الربط بين طرفي المقارنة على ذلك الأساس، فعلى سبيل المثال حاولت إحدى الباحثات<sup>14</sup> الربط بين المسيح وكريشنا إله الهندوس بيد أن قصة المسيح أسطورة لم توجد بأي شكل إنما مقتبسة من قصة كريشنا، وكان من أهم أدلتها المقارنة اللفظية للأسماء فإسم Krishna بالسنسكريتية مقارب للفظ المسيح بالإنجليزية christ و إسم أم المسيح Mary بالإنجليزية المتأخرة مشابه نوعا ما لإسم أم كريشنا السنسكريتية Maya، هذه المقارنة اللفظية السطحية تندثر سريعا مع البحث في معاني هذه الألفاظ وتاريخها وأصولها قبل أن تتحور<sup>15</sup>. و لا جرم أن دراسة الأديان بهذا الشكل يفتح المجال الأكبر للخيال ويحدُّ حركة الجانب العلمي المنهجي يُعَلِّق أ.رابح بوترفاس على قضيةٍ مشابِهةٍ فيقول "...و لكن المماثلة كما هو معلوم لا تكفي وحدها دليلا على اقتباس لغة من غيرها، خاصة إذا لم يُبرهن على كيفية حصول هذا الاقتباس"<sup>16</sup>.

## 3- عامل الأقدمية:

## خصائص التصوف الإسلامي و مميزاته عن الفلسفات الروحية في الأديان (مقارنة موجزة مع البوذية والغنوصية المسيحية)

ينسب في هذه المقارنات عادة التأثير للمتقدم زمانيا والتأثر للمتأخر زمانيا، وتجري مغالطة في كثير من هذه المقارنات وهي أنها تجعل كل ما ينسب للديانة الهندوسية والبوذية مثلا متقدم بالضرورة زمانيا على الإسلام والمسيحية، ويحدد زمن ما هو بين أيدينا من نصوص كتاب ما إلى تاريخ وجود ذلك الكتاب عموما، وهذا يحدث خطأ ولا أقول تدليسا بسبب سوء معرفة بعض الباحثين بالدراسات التاريخية للنصوص الدينية، أولا إن تاريخ وجود أو كتابة النصوص ليس بالضرورة هو تاريخ الديانة نفسها، وثانيا التاريخ المعروف لوجود هذه النصوص ليس في غالب الأحوال هو تاريخ المخطوطات المعتمدة في كتابة النص الحالي الذي بين أيدينا، فتاريخ وجود التوراة اليهودية المقدر (بالاستناد على التوراة) هو حوالي سنة 1300 ق.م بينما كُتبت أقدم نسخة كاملة والتي اعتمدت في كتابة التوراة الحالية الموجودة بين أيدينا ما بين القرن السادس إلى العاشر ميلادي<sup>17</sup>، في مثال آخر يُرجع الباحثون تاريخ تأليف الفيذا أحد أهم الكتب الهندية المقدسة إلى ما بين 1500 إلى 1000 سنة ق.م، وهذا الرأي الراجح المتداول، وهناك آراء أخرى تصل إلى 6000 ق.م<sup>18</sup>، لكننا نجد في الفيذا أيضا كتابا يحمل عنوان "الله بانيشاد" «Allopanishad» أو «Allah Upanisha» هذا الكتاب هو جزء من الفيذا، الأثرافيدا بالتحديد، وقد يعتبر جزءا من الأوبانيشاد (كتاب مقدس آخر)، يتحدث عن الله بطريقة تقترب من العقيدة الإسلامية كثيرا ولذلك يرى البعض أنه قد تم تدوينه في عهد حكم المغول المسلمين للهند وبالتحديد زمن جلال الدين أكبر، أي حوالي القرن السادس عشر، وربما يلقي هذا الرأي قبولا خاصة وأن جلال الدين أكبر كان معروفا بتقريبه بين الهندوس والمسلمين<sup>19</sup>، وخلاصة القول أن الحديث عن تاريخ الديانة أو كُتبتها عموما يصبح أصعب وأقل دقة و أقرب إلى الحدس و أبعد عن القطع واليقين حين يتم البحث فيها تفصيلا في عقائدها وطقوسها وقصصها بالاعتماد حصرا على الأدلة التاريخية الملموسة، وأن التاريخ المتعلق بالأديان الذي قد يعتقد البعض أنه حقيقة متفق عليها في الغالب هي ليست كذلك<sup>20</sup>.

وعلى ماسبق أخالف و بشدة الربط السطحي بين مظاهر الأديان ثم إطلاق العنان للبعث النظري كما يفعل بعض المستشرقين من أمثال نيكلسون حين يقول "وليس هناك من شك في أنه كان لهؤلاء الحنفاء (الرهبان المسيحيين الهائمين في جزيرة العرب) بعض الأثر في مُحَمَّد ﷺ - الذي كان معاصرا لكثير منهم"<sup>21</sup> (انتهى) ثم حين يجد أقوالا و مظاهر أخرى غير موجودة في الرهبانية بل حتى تناقضها يلجأ إلى مصادر أخرى كاليهودية في الشام والعراق والأفلوطينية و فلسفات أخرى للإغريق و ديانات الهند والفرس وغيرها

ليسد الفراغ، و هو لا يجعل في كتابه هذا الربط السطحي دليلا يقينيا وحسب، بل لا يطرح أيضا آية فرضيات تشرح كيفية انتقال كل هذا الكم الهائل المتنوع من التراث الإنساني إلى صحراء الحجاز.

تفكيك السلوك الروحي و خصوصية التصوف:

إذا ما فككنا النُسكية عموما فلن نجدها مختلفة عن أي فلسفة عملية فهي تقوم على جزأين أساسيين، فكرة أو مجموعة أفكار و سلوكا فعليا يحقق تلك الفكرة ويقوم عليها في نفس الوقت، فإذا ما نظرنا إلى السلوك الروحي البوذي -وبالرغم من عدم انضباط الرؤية الكونية البوذية فلم تهتم بالعقيدة الأمر الذي قد يرجع إلى دعوة بوذا لتجنب التساؤلات الوجودية- يمكننا جمع بعض الأفكار الأساسية التي تشكل الفلسفة البوذية وهي تقوم على ملاحظة الألم والكرب والمعاناة في العالم وعليه تقوم على حقائق أربعة، وهي أن الحياة كلها هم و حزن، الشهوة هي التي تؤدي إلى الهم والحزن، بقمع الشهوة يمكن الخلاص من الهم والحزن، والرابعة هي إلتزام الطريق النبيل للخلاص من هذا الحزن، أما السلوك الفعلي فيكون بالتأمل في الحقائق وفهمها والالتزام السلوكي بالطريق النبيل والتي إحدى طرقه التأمل وهو سكون الجسد في وضعية و محاولة التركيز وكبح تشنجات العقل حتى يرتقي الإنسان إلى مستوى عالي من الوعي والسيطرة على الجسد والعقل وهذه الأنواع من الممارسات كانت معروفة في الهند، يصل الإنسان بعد الترتي بتلك الوسائل إلى النارفانا أو الإنظفاء وبالرغم من أن البوذيين يختلفون في تحديد معناها و يرون بصعوبة شرحه كون أنه لا يمكن فهمه إلا بتجربته، غير أنهم يتفقون في كون أن هذه الحالة يتحرر فيها الإنسان من كل دورات الحياة ومتاعبها و آلامها، وهي تشبه عند الهندوسية إتحاد الأتمان (النفس الإنسانية) مع البراهمان جوهر الكون الحقيقي أو الإله<sup>22</sup>.

وفي جانب آخر نجد الغنوصية المسيحية تبني رؤيتها الأساسية على أصلي الخير والشر، فهي ترى أنّ صانع هذا العالم المادي ناقص والمليء بالشرور والآلام والجهل والظلمات هو الإله يهوه الذي أوحى بالعهد القديم (التوراة) وهو إله أدنى ناقص وقد صنع جسم الإنسان من مادة الأرض الظلامية وحبس فيها الروح التي أصلها من عالم نوراني أعلى، أما الإله الحقيقي الأعلى والمتجاوز هو الإله الذي يبحث عنه الغنوصي داخل نفسه من خلال الروح التي هي من صنعه، أما المسيح فهو من العالم النوراني نزل ليفتح بصيرة البشر ليعرفوا خطيئة العالم ويتحرروا منه، إن هذه الفكرة لا تحل مشكلة الشر في العالم فقط بل تبرر ما قد يرى أنه تناقض ظاهري بين إله العهد القديم إله الحرب والغضب والانتقام والشرائع الصارمة و إله العهد الجديد

## خصائص التصوف الإسلامي و مميزاته عن الفلسفات الروحية في الأديان (مقارنة موجزة مع البوذية والغنوصية المسيحية)

إله المحبة والتسامح والخلاص، إن هذه الفكرة الأساسية يُبنى عليها سلوك روعي من أشد أنواع الرهبانية فالمادة على هذا الأساس والتي منها الجسد البشري هي شر محض في كل نزواتها ونزعاتها ووجب على الإنسان ألا يلي احتياجاتها بل يعاكسها ويؤذيها كي يقوي جانبه الروحاني النوراني ويتحرر برؤية الأشياء على حقيقتها، ومنه ظهر ذلك النظام الصارم في تعذيب الجسد وجلده وتجويعه بل تحريم الجنس والزواج عند البعض فالجسد ليس عدو الإنسان وحسب بل يمثّل الشيطان بعينه<sup>23</sup>.

والتصوف الإسلامي لا يثدُّ عن هذه القاعدة فهو فكر وسلوك، أما ما يثبت أصالته في الإسلام أن الفكرة والسلوك كليهما مستندان إلى الأصول الإسلامية كالكتاب والسنة وآثار المتقدمين في الإسلام، ويختلف أهل التصوف طرقاً ومذاهباً باختلاف مراتبهم وأفهامهم واستنباطهم لأصول الدين كاختلاف مذاهب الفقه وفرق العقيدة، والعامل المشترك بينهم جميعاً أنهم يستندون على هذه الأصول باعتبارها أساساً ومُنطلقاً ثم حَكَمًا على ماتنتجه التجربة الروحية من معارف، يقول الشعراي في الطبقات الكبرى: «ثم اعلم أخي أن علم التصوف عبارة عن علم انقذح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة... فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج والشريعة وصلتهم إلى الله — عز وجل — في كل لحظة.» يقول الإمام أبو حامد الغزالي: «واعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل، والمدعي فيه كثير، ونحن نعرّفك علامتين له؛ العلامة الأولى: أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع، موقوفة على توفيقاته إيراداً وإصداراً، وإقداماً وإحجاماً؛ إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها، ولا يصل فيه إلا من واطب على جملة من النوافل، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض؟ يقول سهل التستري: «أصول طريقنا سبعة: التمسك بالكتاب، والاقتران بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، ولزوم التوبة، وأداء الحقوق.»<sup>24</sup> ويقول أبو الحسن الشاذلي " إذا تعارض كشفك مع الكتاب و السنة، ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة"<sup>25</sup>

### 4. خاتمة

إن خصوصية التصوف هي من خصوصية الإسلام فهو يعتمد على مصادره الكتاب والسنة وآثار الصالحين من القرون الخيرية، ولا يمكن إنكار أن أصوله وجذوره الأولى مستنبطة من الكتاب والسنة و رجال

عهد النبوة، إلا أنني هنا لا أنفي إمكانية ظهور بعض أو كثير من المتصوفة الذين قد يخرجوا عن دائرة هذه الأصول، سواء أعلّموا ذلك أم لم يعلموا أكانوا متأثرين بعلم ظاهر أو بنفحات باطنية، مثل هذه المسائل يجب أن تُدرس بعناية بين العلماء والباحثين لمناقشة صحة المناهج أو الطرق المستخدمة و أيضا الحكم على الأقوال التي نتجت عن هذه المناهج بردها إلى الأصول تماما كما يحصل في النزاعات الفقهية والعقدية، وقد سبق أن فعل من المتقدمين ذلك كالإمام السيوطي في تأصيله لمسألة التفسير الإشاري. وقد رأينا اختلاف التصوف عن البوذية التي لم تمنع من الاقتباس من التعاليم المنتشرة للوصول إلى غايتها وعلى هذا اعتُبرت البوذية فلسفة حياة أكثر منها ديناً، بينما خالفت الغنوصية جمهور الفرق اليهودية والمسيحية وأنكرت أصلاً من أصول الديانتين وهو التوراة أو العهد القديم بل أنكرت الوحي الإلهي في الخارج، بل فككت الديانتين بشكل كامل وأعدت قراءة النصوص وتفكيكها، في المقابل لم يختلف التصوف الإسلامي عن فرق المسلمين ومذاهبهم في الاستنباط من الأصول والاعتماد عليهما و إحالة قضاياهم إلى الأزمان الخيرية، مما لا يجعل علم التصوف مختلفاً عن علوم الفقه والعقيدة وغيرها من علوم المسلمين إذ انتهج فيه أصحابه نفس المنهج.

إن نظريات التأثير والتأثر بين الأديان قد تستقوي بنهش المناظرين في الفرق والأديان لها، فقد صارت حجة الإقتباس (وخاصة من الوثنية) وإثبات خارجية المصدر من أبرز الأوراق التي تطرح في طاولة الجدل بين الفرق أو الأديان، ولذلك قد يحدث أن تُستورد هذه النظريات من كتب المستشرقين بتهور بدون فحص ولا تحييص غلباً وانتصاراً للمذهب أو الدين، غير مباليين بالإشكاليات العميقة التي تنتجها هذه النظريات عند البناء عليها بدون نقد.

## 5. قائمة المراجع:

1. أبو بكر مُحمَّد بن إسحق البخاري الكلباذي 1994م، التعرف لمذهب أهل التصوف مكتبة الخانجي القاهرة .
2. أبي عبد الله مُحمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، 1411 – 1990، المستدرك على الصحيحين، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دار الكتب العلمية – بيروت .
3. سوزوكي 2007 ، التصوف البوذي والتحليل النفسي ترجمة ثائر ديب دار الحوار اللاذقية.
4. داميان كيون، 2016، البوذية: مقدمة قصيرة جداً، مؤسسة هنداوي.

## خصائص التصوف الإسلامي و مميزاته عن الفلسفات الروحية في الأديان (مقارنة موجزة مع البوذية والغنوصية المسيحية)

5. ر.أ نيكلسون، 2002، الصوفية في الإسلام، نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي القاهرة.
6. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، الدكتور محمود بن الشريف الناشر: دار المعارف.
7. زكي مبارك، 2012، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي .
8. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المعجم الكبير حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة .
9. طه عبد الباقي سرور، 2020، التصوف الإسلامي والإمام الشعراي، مؤسسة هنداوي فصل هل تتعارض المعارف الصوفية مع القرآن والسنة؟.
10. عبد الله بن المبارك المروزي، الزهد والرقائق، من رواية الحسين المروزي.
11. فراس السواح، 2022 ، الوجه الآخر للمسيح موقف يسوع من اليهودية مقدمة في الغنوصية، مؤسسة هنداوي.
12. فراس السواح، 2022، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنتشأ الدافع الديني، مؤسسة هنداوي.
13. مُجَدِّ بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، الترمذي، سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر الطبعة: الثانية،
14. يوسف توما مرقس، 2009، الغنوصية أو التيارات العرفانية في القرون المسيحية الأولى، الأطلس للطباعة، بغداد .
15. الهندي لقمان لوا، 2015م، نزعة الزهد بين البوذية والتصوف الإسلامي، حامد الطاهر و عبد الحميد عبد المنعم، (رسالة دكتوراه) جامعة القاهرة كلية دار العلوم قسم الفلسفة الإسلامية،
16. 2013م، أسطورة الخلق في ديانة الشرق الأدنى القديم (مذكرة ماجستير).
17. عبد الرحيم سماحي، 2020/2019، نظرية التأثير الوثني في المسيحية-دراسة تحليلية نقدية- (مذكرة ماستر) إشراف عمار جيدل، جامعة الجزائر .
18. بعارسية صباح، 2017، (جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة) أصول التصوف الإسلامي، مجلة دراسات تراثية العدد 01 .

19. د. بن معمر عبدالله ، د. شويتى أمينة، جانفي 2021، أصل الدين: المشكل المقصود  
للأنثروبولوجيا الدينية، مجلة أنثروبولوجيا الأديان المجلد 17 العدد 01
20. مرسيا إلياد، 1971م، تاريخ الأديان من 1912 إلى أيامنا هذه، فصل من كتاب مرسيا  
إلياد الحنين إلى الأصول، غاليمار \_باريس
21. موقع الموسوعة البريطانية <https://www.britannica.com>  
Acharya.S.Murdock; "The suns of God, Krishna Buddha and  
Christ unveiled", published by: adventures unlimited press,  
kempton, illinois 2004) p242

الهوامش:

<sup>1</sup> ر.أ نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة وتعليق: نور الدين شريه، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية 2002 ص  
11-10

<sup>2</sup> ينظر: عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١ هـ)، الزهد والرقائق لابن المبارك، من رواية الحسين المروزي (وملحق بآخره  
زيادات من رواية نعيم بن حماد) حققه وعلق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي قام بنشره: مُجَّد عفيف الزعبي، بإذن خطي من  
محققه حبيب الرحمن الأعظمي، ووكيل مجلس إحياء المعارف ب (ماليكاون) ناسك (الهند) الحديث رقم 995 الجزء/الصفحة  
353/1، وينظر المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله مُجَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، مع تضمينات: الذهبي في  
التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار  
الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ عدد الأجزاء: 4، الحديث 204، الجزء/الصفحة: 129/1.

<sup>3</sup> سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) المحقق: حمدي  
بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء: ٢٥ ويشمل القطعة التي نشرها  
لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصمعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)  
الحديث رقم 6668/7 153/7.

<sup>4</sup> مُجَّد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد مُجَّد شاکر  
(ج ١، ٢) و مُجَّد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥) الناشر: شركة

# خصائص التصوف الإسلامي و مميزاته عن الفلسفات الروحية في الأديان (مقارنة موجزة مع البوذية والغنوصية المسيحية)

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، الحديث رقم 1780 ج/ص 245/4.

<sup>5</sup> راجع كتاب: زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، الناشر: مؤسسة هنداوي سنة 2012، اشتقاق كلمة تصوف ص 52. و كتاب: التعرف لمذهب أهل التصوف لأبوبكر محمد بن إسحق البخاري الكلباذي (380هـ)، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثانية 1994م، الباب الأول قولهم في الصوفية لم سميت صوفية ص5. ر.أ. نيكلسون، الصوفية في الإسلام ص 11.

<sup>7</sup> ذكره أبو الريحان البيروني، راجع زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ص 66. <sup>8</sup> راجع: (مقال) مرسيا إلياد تاريخ الأديان من 1912 إلى أيامنا هذه، ترجمة حسن قبيسي، فصل من كتاب مرسيا إلياد الحنين إلى الأصول، غاليمار - باريس 1971م.

<sup>9</sup> راجع: (مقال) د. بن معمر عبدالله و د. شويتي أمينة، أصل الدين: المشكل المقصود للأنثروبولوجيا الدينية، مجلة أنثروبولوجيا الأديان المجلد 17 العدد 01 جانفي 2021 ص80، راجع: فراس السواح، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، مؤسسة هنداوي 2022، فصل: نظريات في منشأ الدين: نقد وتأسيس، ص 305. <sup>10</sup> مرسيا إلياد تاريخ الأديان من 1912 إلى أيامنا هذه ص 351 (20).

<sup>11</sup> د.ت سوزوكي التصوف البوذي والتحليل النفسي ترجمة ثائر ديب دار الحوار اللاذقية، الطبعة الثانية 2007 ص46. <sup>12</sup> نظرية في المعرفة تنسب للتجريبين خاصة اعتبروا العقل البشري ورقة بيضاء تطبع فيه الأفكار من خلال رد فعل الحواس في تفاعلها مع العالم الخارجي للأشياء.

<sup>13</sup> (مقال) د. بعارسية صباح (جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة) أصول التصوف الإسلامي، مجلة دراسات تراثية العدد 01 سنة 2017، ص63.

<sup>14</sup> Acharya.S.Murdock; "The suns of God, Krishna Buddha and Christ unveiled", ( published by: adventures unlimited press, kempton, illinois 2004) p242

<sup>15</sup> راجع بخصوص هذا الموضوع: (مذكرة ماستر) عبد الرحيم سماحي، نظرية التأثير الوثني في المسيحية-دراسة تحليلية نقدية- إشراف عمار جيدل، جامعة الجزائر -1- 2020/2019. ص73.

<sup>16</sup> (مذكرة ماجستير)، أسطورة الخلق في ديانة الشرق الأدنى القديم 2013م، ص 3.

<sup>17</sup> <https://www.britannica.com/topic/Masoretic-text> (PM) 8:41 02/25/2023

<sup>18</sup> كيم نوت، الهندوسية، ترجمة أميرة علي عبد الصادق، مراجعة مُجد فؤاد، (مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة\_القاهرة، الطبعة الأولى 2016) ص 25، راجع أيضا مُجد عثمان الخشت، للوحي معاني أخرى هل الوحي أمر ممكن عقليا (دار روابط للنشر\_القاهرة، الطبعة الأولى 2018) ص 19، راجع أيضا أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي ( مكتبة النهضة المصرية\_القاهرة، الطبعة 11) ص 40، ص 42 و ص 73، و راجع ضياء الرحمن الأعظمي، فصول في أديان الهند (دار البخاري للنشر والتوزيع\_المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1997) ص 23، و من ص 29 إلى ص 54.

<sup>19</sup> Swami Nikhilananda, The principal upanishads, (The dover publications\_Mineola, New York 2003) P 21.

<sup>20</sup> للمزيد بشأن هذا النقذ: (مذكرة ماستر) عبد الرحيم سماحي، نظرية التأثير الوثني في المسيحية-دراسة تحليلية نقدية- إشراف عمار جبدل، جامعة الجزائر-1- 2020/2019 ص 83.

<sup>21</sup> (أطروحة دكتوراه): الهندي لقمان لوا، نزعة الزهد بين البوذية والتصوف الإسلامي، إشراف: حامد الطاهر، عبد

الحميد عبد المنعم مذكور، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم قسم الفلسفة الإسلامية، سنة 2015، ص 244

<sup>22</sup> راجع: داميان كيون، البوذية: مقدمة قصيرة جدًا، الفصل السابع التأمل، ص 59 و راجع: (رسالة دكتوراه) الهندي

لقمان لوا، نزعة الزهد بين البوذية والتصوف الإسلامي، إشراف: حامد الطاهر و عبد الحميد عبد المنعم، جامعة القاهرة كلية دار العلوم قسم الفلسفة الإسلامية، 2015م، المبحث الرابع: أساسيات البوذية وخصائصها ص 130.

<sup>23</sup> راجع: فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح موقف يسوع من اليهودية مقدمة في الغنوصية، مؤسسة هنداوي 2022، ص 74 راجع: يوسف توما مرقس، الغنوصية أو التيارات العرفانية في القرون المسيحية الأولى، الأطلس للطباعة، بغداد 2009، ص 64.

<sup>24</sup> طه عبد الباقي سرور، التصوف الإسلامي والإمام الشعراي، مؤسسة هنداوي 2020، فصل هل تتعارض المعارف الصوفية مع القرآن والسنة؟، ص 67

<sup>25</sup> (مقال) د. بعارسية صباح (جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة) أصول التصوف الإسلامي، مجلة دراسات تراثية العدد 01 سنة 2017، ص 56.